

الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .
أما بعد ..

قال الشيخ عبدالمحسن البدر حفظه الله في شرح الحديث الثاني من الأربعين النووية ..
[والإيمان بالرسول التصديق والإقرار بأن الله اصطفى من البشر رسلاً وأنبياء يهدون الناس إلى الحق ويخرجونهم من الظلمات إلى النور، قال الله عز وجل ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ والجن ليس فيهم رسل بل فيهم النذر كما قال الله عز وجل ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ، فلم يذكروا رسلاً منهم ولا كتباً أنزلت عليهم وإنما ذكروا الكتابين المنزلين على موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، ولم يأت ذكر الإنجيل مع أنه منزل من بعد موسى وذلك أن كثيراً من الأحكام التي في الإنجيل قد جاءت في التوراة ، قال بن كثير في تفسير هذه الآيات " ولم يذكروا عيسى لأن عيسى عليه السلام أنزل عليه الإنجيل فيه مواعظ و ترفيقات و قليل من التحليل والتحريم ، وهو في الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة ، فالعمدة هو التوراة ولهذا قالوا ﴿أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى﴾] .

الشرح..

هذا الأصل الرابع من أصول الإيمان المذكورة في حديث جبريل ، وقد مرّ قول النبي صلى الله عليه وسلم
« الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره » ، فالإيمان بالرسول أصل من أصول الإيمان وركن من أركانه ، والإيمان بالرسول هو الإيمان بأن الله عز وجل اصطفى واجتبى سبحانه وتعالى من البشر رسلاً يبلغون شرعه ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ ، رسلاً يكونون هداة للخلق ودعاة للحق ، قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ، وقال تعالى ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا

فِيهَا نَذِيرٌ ﴿﴾ ، فالله جل وعلا أرسل الرسل ﴿﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴿﴾ ، فهو جل وعلا أرسل الرسل ليكونوا واسطة بينه وبين عباده في إبلاغ شرعه لأنه سبحانه وتعالى خلق الخلق ليعبدوه وأوجدهم ليطيعوه ويمثلوا أمره ويجتنبوا نهيهِ ، ولا سبيل لهم إلى معرفة ذلك إلا بوحية سبحانه وتعالى ولهذا اقتضت حكمته سبحانه أن يصطفى من الناس رسلاً يبلغونهم دين الله ، وكان حال الناس مع الرسل هو الانقسام إلى فريقين ؛ قال الله تعالى ﴿﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴿﴾ ؛ منهم من هدى الله فأمن بالرسول وصدق بما جاءوا به ، واتبعهم فيما أمروا ، وانتهى عما نهوا عنه وزجروا .

وفريق كذب المرسلين وتولى ، كذب الأخبار وتولى عن فعل الطاعات والقربات . الشاهد أن الإيمان بالرسول أصل من أصول الإيمان العظيمة وأساس من أسسه المتينة .

والرسول هم من الذكور من ذرية آدم ، والله سبحانه وتعالى جعل التكليف على الثقلين ؛ قال تعالى ﴿﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿﴾ ، لكنه جل وعلا لم يجعل من الجن رسلاً ؛ بل جعل الرسل من البشر من ذرية آدم ، وأما الجن فقد جعل فيهم النذر بحيث يستمعون إلى ما جاء به المرسلون من عند الله تبارك وتعالى ويذهبوا إلى قومهم منذرين ، لكن ليس فيهم رسول يوحى الله تبارك وتعالى إليه ويتنزل عليه وحى الله تبارك وتعالى ؛ ولهذا يقول جل وعلا ﴿﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿﴾ ؛ فالجن فيهم النذر وليس فيهم الرسل ؛ فالرسالة اختصها الله تبارك وتعالى بالرجال من ذرية آدم ؛ ولهذا ليس في النساء نبياً ﴿﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ﴿﴾ والنبوة إنما هي في الذكور من ذرية آدم وليس في الجن رسولا ولا نبياً ولكن فيهم النذر ولهذا لما رجع هؤلاء الجن النذر إلى قومهم ﴿﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿﴾ ؛ فلم يذكروا كتاباً أنزل عليهم لأنه ليس في الجن نبي وليس فيهم رسول . وهم مكلفون مثل البشر ، مأمورون بما أمروا به من التوحيد والطاعة لله جل وعلا والالتزام بأمره والانتفاء عن نهيهِ .

والنذر هم من يأخذون عن الرسل ويبلغون أقوامهم ما سمعوه من المرسلين .

[والرسول هم المكلفون بإبلاغ شرائع أنزلت عليهم كما قال الله عز وجل ﴿﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ﴿﴾ . والكتاب اسم جنس يراد به الكتب ، والأنبياء هم

الذين أُوحِيَ إليهم بأن يبلغوا شريعة سابقة كما قال الله عز وجل ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّائِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴾ الآية ، وقد قام الرسل والأنبياء بتبليغ ما أمروا بتبليغه على التمام والكمال كما قال الله عز وجل ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ ، وقال ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ، قال الزهري رحمه الله " من الله عز وجل الرسالة وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاغ وعلينا التسليم " ، أورده البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد : باب قول الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [١] .

الشرح..

الفرق بين الرسل والأنبياء ، أن الرسل هم المكلفون بإبلاغ شرائع أنزلت عليهم أي أنزل عليه كتاب خاص به ولهذا الكتب تنزل على الرسل ؛ يدل لذلك قوله تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ ؛ و " ال " في " الكتاب " للجنس ، وهذا فيه أن الرسل هم الذين تُنزل عليهم الكتب ، أما الأنبياء فهم الذين أُوحِيَ إليهم بأن يبلغوا شريعة سابقة ؛ بمعنى أن النبي لا يُنزل عليه كتاب يختص به وإنما يوحى إليه ؛ والذي يُوحى إليه هو إبلاغ الشريعة السابقة ؛ مثل ما قال الله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ ؛ موسى عليه السلام رسول ، أنزل الله عليه التوراة ، وأنبياء بني إسرائيل ليسوا رسل ، ولهذا لم يُنزل عليهم كتباً مختصة بهم كما أنزل على موسى عليه السلام ؛ وإنما كانوا يحكمون بالتوراة ، أُوحِيَ إليهم وُبُعِثُوا مبشرين ومنذرين ، ولم يُنزل عليهم كتاباً خاصاً بهم كموسى أنزل عليه التوراة وعيسى أنزل عليه الإنجيل ، ودَاوُدُ أنزل عليه الزبور ، الأنبياء لم يُنزل عليهم كتباً خاصة وإنما أمروا أن يحكموا بالتوراة ، وبهذا يُعلم الفرق بين الرسول والنبي .

فالرسول هو المكلف بإبلاغ شريعة أنزلت عليه بحيث يكون أنزل عليه كتاب خاص بهم أما الأنبياء أُوحِيَ إليهم بإبلاغ شريعة أنزلت من قبلهم وهذا هو الشأن مع أنبياء بني إسرائيل وكل رسول نبي لأن مرتبة الرسالة أعلى ، وليس كل نبي رسولا ؛ فمرتبة الرسالة أعلى من مرتبة النبوة ؛ ولهذا نقول : أفضل الناس الأنبياء وأفضل الأنبياء الرسل ، وأفضل الرسل أولوا العزم من الرسل وهم خمسة ذكرهم الله تعالى في قوله ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمَنْ

نُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴿١﴾ . وأفضل أولوا العزم من الرسل محمد صلوات الله وسلامه عليه .

ومما يجب أن نعتقده في الرسل والأنبياء أنهم بلغوا البلاغ المبين ، وأدّوا مهمتهم على التمام ، ومهمتهم معروفة ﴿٢﴾ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴿٣﴾؛ فهم أدّوا ما أمروا بإبلاغه على التمام ، وما تركوا خيراً إلا دلّوا أممهم عليه ولا شراً إلا حذروا أممهم منه كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام « ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته إلى خير ما يعلمه لهم وأن ينذرهم من شر ما يعلمه لهم » ، فيجب أن نعتقد في الرسل والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه أنهم بلغوا البلاغ المبين ، وما تركوا خيراً إلا دلّوا الأمة عليه ، ولا شراً إلا حذروهم منه ؛ قال الله تعالى ﴿٤﴾ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴿٥﴾ ، وقال ﴿٦﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾

فإذا الرسل بلغوا ، والأقوام الذين جحدوا ما جاء به الرسل وكذبوا المرسلين ؛ يوم القيامة إذا أدخلوا النار يُسألون ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ ﴿٩﴾ ؛ بلى جاءنا الرسل وأنذرونا وأبلغونا دين الله ولكننا كذبنا وكفرنا ؛ فإذا الرسل بلغوا . ومن واجبتنا نحو المرسلين أن نعتقد أنهم بلغوا البلاغ المبين ، وهذه هي مهمتهم فالرسل مهمتهم البلاغ مثلما ما قال الزهري رحمه الله : " من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم " ؛ فالله جل وعلا أرسل الرسل بالحق والهدى ، والرسل بلغوا البلاغ المبين ، ومهمة العباد التسليم ﴿١٠﴾ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿١١﴾ ؛ أن يسلموا بما جاءت به الرسل وأن يذعنوا وأن ينقادوا ويطيعوا ويمثلوا .

قال: [والرسل منهم من قُصَّ في القرآن ، ومنهم من لم يُقَصَّص كما قال الله عز وجل ﴿١٢﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴿١٣﴾ ، وقال الله عز وجل ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴿١٥﴾ ، والذين قُصِّصوا في القرآن خمسة وعشرون منهم ثمانية عشر جاء ذكرهم في سورة الأنعام ﴿١٦﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن دُورِيبَ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٨﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾

والسبعة الباقون آدم وإدريس وهود وصالح وشعيب وذو الكفل ومحمد صلوات الله وسلامه وبركاته عليهم أجمعين] .

الشرح..

مما يجب اعتقاده نحو المرسلين أن الله تبارك وتعالى لم يقص علينا في القرآن خبرهم وتفاصيل قصصهم وأسماءهم أجمعين ؛ وإنما قص بعضاً ولم يقصص بعضاً ؛ كما قال تعالى ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ ؛ وإذا علم ذلك فالواجب فيمن قص الله تبارك وتعالى خبره في القرآن أن نؤمن به كما جاء مفصلاً ، ومن لم يذكر خبره أو اسمه أو تفاصيل قصته نؤمن به إجمالاً ؛ فنحن إجمالاً نؤمن بكل رسول أرسله الله ، ونؤمن بأن الرسل بلغوا دين الله تبارك وتعالى على التمام والكمال ، وأما تفصيلاً فمن ذكرت أسماءهم أو ذكرت تفاصيل قصصهم في القرآن فهذا الذي جاء مفصلاً نؤمن به مفصلاً كما جاء ؛ فالإيمان بالرسول مجمل ومفصل ؛ إيمان مجمل بما لم يفصل ، وإيمان مفصل بما جاء مفصلاً في كتاب الله أو سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، وإذا طالعنا أسماء الأنبياء في القرآن ممن قص الله تبارك وتعالى خبرهم أو ذكر شيئاً من خبرهم نجد أن عدد من ذكر باسمه في القرآن الكريم من الرسل والأنبياء خمسة وعشرون ، جاء منهم على التوالي ثمانية عشر في قول الله في سورة الأنعام ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ﴾ ؛ جاء ذكر ثمانية عشر نبياً على التوالي في سياق واحد في آيات متتالية ؛ قال جل وعلا ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ﴾ إلى هنا عشرة ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا ﴾ هؤلاء ثمانية عشر ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ذكرُوا في هذا السياق ، وقلنا أنهم خمسة عشر فيبقى سبعة ؛ فالباقون هم : آدم وإدريس وهود وصالح وشعيب وذو الكفل ومحمد صلوات الله وسلامه عليه ؛ ولهذا قال الناظم :

في تلك حجتنا منهم ثمانية من بعد عشرٍ ويبقى سبعة

وهم إدريس هود شعيب صالح وكذا ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

" في تلك حجتنا " أي في الآيات التي بدأها الله بقوله ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ﴾ في سورة الأنعام

" منهم " أي من الأنبياء

" ثمانية من بعد عشر " أي ثمانية عشر ويبقى سبعة فصلهم في البيت الثاني
وهم إدريس هود شعيب صالح وكذا ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

فهذا عدد من قص أو ذكر اسمه من الأنبياء في القرآن الكريم ، ومن قص وذكر اسمه في القرآن الواجب علينا أن نؤمن به كما جاء مفصلاً في كتاب الله ، ومن لم يذكر اسمه أو شيء من تفاصيل قصته فنؤمن به إجمالاً ، وكذلك مما ينبغي أن نعتقده في الأنبياء أنهم متفاضلون ، فضّل الله سبحانه بعضهم على بعض كما قال جل وعلا ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ ، وقال جل وعلا ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ ؛ فهم متفاضلون ، والأمر كما قيل سابقاً أفضل الناس الأنبياء ، وأفضل الأنبياء الرسل ، وأفضل الرسل أولوا العزم منهم ، وأفضل أولوا العزم سيد ولد آدم محمد صلوات الله

وسلامه عليه •

[والإيمان باليوم الآخر التصديق والإقرار بكل ما جاء في الكتاب والسنة عن كل ما يكون بعد الموت وقد جعل الله الدور دارين ؛ دار الدنيا والدار الآخرة ، والحد الفاصل بين هذين الدارين الموت والنفخ في الصور الذي يحصل به موت من كان حياً في آخر الدنيا ، وكل من مات قامت قيامته ، وانتقل من دار العمل إلى دار الجزاء ، والحياة بعد الموت حياتان ؛ حياة برزخية وهي ما بين الموت والبعث ، والحياة بعد الموت ، والحياة البرزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله ، وهي تابعة للحياة بعد الموت لأن في كل منهما الجزاء على الأعمال ، وأهل السعادة منعمون في قبورهم في نعيم الجنة ، وأهل الشقاوة معذبون فيها بعذاب النار] .

الشرح..

ثم الأصل الخامس من أصول الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر ، وثمّني اليوم الآخر بهذا الاسم لأنه متأخر ، يأتي متأخراً على الدنيا فإذا انقضت الدنيا جاء اليوم الآخر ، ويسمى يوم القيامة لأن الناس يقومون فيه لرب العالمين ، ويسمى يوم الحساب ويوم الدين لأن فيها الجزاء والحساب ، ويسمى يوم البعث ويوم الحشر ...

وهذه الأسماء لهذا اليوم مأخوذة من أحوال ذلك اليوم وأهواله ؛ ولهذا تعددت أسماء هذا اليوم

وكثر لتعدد أحواله وكثرتها .

والإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مما أخبر به رسل الله بدءاً من ما يكون في القبر من فتنة ثم عذاب أو نعيم ثم ما يكون بعد ذلك من النفخ في الصور والبعث والنشور والجزاء والحساب ونصب الموازين ونشر الدواوين وأخذ كتابه باليمين وأخذ كتابه بالشمال وما يكون كذلك من الصراط الذي ينصب على متن جهنم ، وما يكون أيضاً من تفاصيل في ما في الجنة من نعيم ، وتفاصيل مما في النار من عذاب .. إلى غير ذلك من التفاصيل المتعلقة بذلك اليوم مما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . فالإيمان بذلك كله من الإيمان باليوم الآخر ، وإيمان الناس بهذا اليوم العظيم على درجتين :

الدرجة الأولى: الإيمان الجازم ولا يُقبل من أحد إيمان إلا إذا كان إيماناً جازماً لا شك فيه .

الدرجة الثانية: الإيمان الراسخ الذي يملأ القلب، ويستحضره العبد ، وهذا الإيمان الراسخ له أثره العظيم على العبد صلاحاً واستقامةً ، وكلما كان العبد ذاكراً لليوم الآخر وللحشر والجزاء والحساب صلحت حاله واستقام أمره وابتعد عن معصية ربه تبارك وتعالى ؛ قال جل وعلا ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ ، وقال ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ؛ فالعبد كلما كان على ذكر من الحشر والجزاء والحساب والعقاب والوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى وعلى ذكر للأهوال التي تكون يوم القيامة تصلح حاله ، أما إذا غفل عن اليوم الآخر ضاع في هذه الحياة الدنيا وأصبحت الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه ؛ لأنه لا تفكير عنده ولا اهتمام باليوم الآخر ، ولا ذكر لهذا اليوم في قلبه ؛ ولهذا يضيع في الدنيا وتهلكه الدنيا تمام الهلكة ، ويضيع فيها تمام الضياع ، لكن إذا استيقظ قلب العبد وأصبح على ذكر من هذا اليوم ، يتذكر الموت والجزاء والحساب والوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى ، يتذكر أن أعماله تُحضر يوم القيامة وأنه عليها يُحاسب وأنه مجزي بعمله وأن الأمور لا تضيع ، وأن الأعمال توزن ؛ إذا ذكر ذلك كله وذكر أن هناك جنة لأهل النعيم ونار للعصاة والكافرين ؛ كل ذلكم يحرك قلب الإنسان إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات ؛ ولهذا من يؤتو كتابهم باليمين يوم القيامة عندما ينطلقون بالكتاب فرحين مستبشرين ماذا يقولون ؟ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ ﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ ﴿ ؛ أي لما كنت في الدنيا اعتقدت أن فيه حساب وكنت خائفاً من الحساب فهذا الذي يسر الله به لي الصلاح والاستقامة . أما

إذا غفل الإنسان عن الحساب وعن الجزاء وعن يوم الدين ؛ فإذا غفل عن ذلك طمع في الدنيا إلى أن يدهمه الموت وهو على ضياعه ، ويندم بعد موته ولا ينفعه الندم ؛ ولهذا ذكر اليوم الآخر دائماً وأبداً فيه صلاح للإنسان ؛ ولهذا نلاحظ الأحاديث الكثيرة في الترغيب والترهيب تُصدّر بالتذكير باليوم الآخر ؛ أحاديث كثيرة يقول عليه الصلاة والسلام فيها " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفعل كذا ... " ، " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يفعل كذا .. " ، أو يقول « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مع غير ذي محرم » ؛ فتذكر اليوم الآخر صلاح للعبد ، والغفلة عنه ضياع وهلكة وإذا كان الإيمان باليوم الآخر راسخ في القلب أحواله كلها تصلح ويستقيم قلبه على طاعة الله وتزين جوارحه بالأعمال الصالحات .

قد كان عليه الصلاة والسلام يقول « تذكروا هادم اللذات » ؛ فينبغي للإنسان أن يتذكر الموت، ويتذكر أنه ليس له في هذه الدنيا إلا أمد محدود ووقت محدود ، ولكل أجل كتاب ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ، فيتهيأ ويستعد لذلك اليوم العظيم ، ومن مات قامت قيامته ؛ وفي هذا جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « القبر أول منازل الآخرة » ؛ ولهذا قال العلماء " من مات قامت قيامته " ، الذي تُفارق روحه جسده بدأ في حقه اليوم الآخر ، وبدأت في حقه منازل اليوم الآخر لأنه انتهى من دار العمل وليس عنده مجال ليعمل ، ودخل في دار الجزاء والحساب ؛ لأن الجزاء والحساب يبدأ في القبر ، والنعيم والعذاب يبدأ في القبر ؛ ولهذا القبر أول منازل الآخرة فمن مات وخرجت روحه من جسده قامت قيامته ، ودخل في مرحلة الحساب وانتهى في حقه العمل ؛ قال صلى الله عليه وسلم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله » يعني ليس له مجال أن يعمل « إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » ، فمثل هذه يصل إليه ثوابها وهو في قبره ؛ إذا علم علماً ومات والناس في انتفاع من علمه فلا يزال ثواب تعليمه يصل إليه في قبره مادام الناس يتعلمون من العلم الذي بثه ونشره ، وإذا كان سبب سبباً من ماءٍ أو أوقف بيتاً أو شجراً أو نخلاً أو زرعاً أو حفر بئراً أو غير ذلك من أبواب الصدقات والنفقات فلا يزال الثواب يصل إليه في قبره مادام يستفاد من صدقته ومما سبَّله وأوقفه في سبيل الله ، وإذا كان له أولاد على الاستقامة والصلاح والطاعة لله فكلما دعوا له بالرحمة والمغفرة وصل إليه ثواب ذلك ، وصل إليه أثر هذه الدعوات التي يدعوا له فيها أولاده بصدق بالرحمة والمغفرة والعنتق من النار ؛ ولهذا بعض

الناس أُدخل في قبره وهو في قبره ميت تأتيه الأجور الكبار يومياً لأنه ترك أشياء قبل أن يموت يصل إليه ثوابها وهو في قبره بعد أن مات ، ويوجد أناس أحياء يمشون على وجه الأرض ويمر اليوم واليومين والثلاثة والأكثر ولا يُحصّلون ثواباً ، بل يُحصّلون أوزاراً وآثاماً وغضباً من الله عز وجل وسخطاً عليهم ؛ ولهذا الإيمان باليوم الآخر صلاح للعبد وصلاح لحاله ، ولا يزال العبد بخير مادام على ذكرٍ لهذا اليوم . وقد قال عليه الصلاة والسلام " إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح " لأنك لا تدري ربما مرحلة اليوم الآخر في حقك تكون غداً أو بعده أو بعد أسبوع ؛ فلا تغتر بشبابك فإن الموت لا يفرق بين شاب وكهل ، كم من مرة يدخل الموت إلى بيت فيه كبير وطاعن في السن يتوقع أهل البيت أن يفارقهم عن قريب ؛ فيأخذ الصغير ويدع الكهل فالموت لا يفرق بين صغير أو كبير . فمن جاء أجله وحضرت منيته فارق الدنيا شاباً كان أو كهلاً ؛ فلا يغتر الشباب بشبابه ؛ ولهذا من الخير للإنسان أن يكون على ذكر لهذا اليوم العظيم واستحضار له ، يذكر أنه سيقف ويُحشر ويُبعث ويحاسب ويجازى ؛ يذكر ذلك كله .

وبعد هذه الحياة الدنيا حياتان : حياة البرزخ وحياة يوم القيامة ، والدار الآخرة ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ .

حياة البرزخ مختلفة عن الحياة الدنيا ، ولهذا من مات فهو باعتبار الحياة الدنيا ميت ، وانقطع عن الأمور التي هي متعلقة بهذه الحياة الدنيا ؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « إذا مات ابن آدم انقطع عمله » ، فالميت ينقطع عن أعمال دار التكليف ، لا يستغفر ولا يدعو ولا يستطيع أن يقوم بالأعمال لأنه انقطع من دار التكليف .

والشهداء والصالحون والأنبياء يحيون في قبورهم حياة برزخية مختلفة عن الحياة الدنيا ؛ ولهذا الأنبياء والشهداء باعتبار الدنيا أموات ؛ يقول الله تعالى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ، وقال ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ ؛ فالأنبياء هم باعتبار الدنيا أموات وهم في قبورهم أحياء حياة برزخية ؛ ولهذا لما مات النبي عليه الصلاة والسلام ، لما كان يقع الخلاف بين الصحابة في مسألة من أمور الدين ما كانوا يأتون عند قبره ويسألونه أو يستفتونه كما كانوا يصنعون في حياته ، ولا كان الصحابة يأتون عند قبره ويطلبون منه الدعاء كما كانوا يفعلون في حياته ؛ فقد كانوا في حياته صلى الله عليه وسلم يقولون له " ادعوا الله أن يسقينا " و ما قالوا هذا بعد أن مات ، ولا قالوا " استغفر لنا " بعد أن

مات لأنه عليه الصلاة والسلام بعد أن مات لا يدعوا لأحد ولا يستغفر لأحد صلوات الله وسلامه عليه ؛ ولهذا جاء في صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة « إن كان ذاك وأنا حي استغفرت لك » ؛ أي أنه بعد موته لا يستغفر لأحد

ولهذا يخطيء بعض الناس ويقرأون الآية على غير بابها ؛ وهي ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ ، ويقولون عند قبره ويقولون يا رسول الله استغفر لنا ؛ هذا غلط لا دليل على مشروعيته ؛ بل الأدلة تدل على أن هذا العمل غير صحيح ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة « إن كان ذاك وأنا حي استغفرت لك » ، وربما استدل بعضهم على ذلك بأحاديث لا تصح مثل قوله فيما ينسب إليه عليه الصلاة والسلام " أعمالكم تعرض عليّ فما كان فيها من خير حمدت الله وما كان فيها من خلاف ذلك استغفرت لكم " ؛ فهذا غير صحيح وغير ثابت عن النبي صلوات الله وسلامه عليه .

ولما كان لدى الناس فهم خاطئ في فهم الحياة البرزخية توجه بعض العوام الجهال إلى القبور يستنجدون بأصحابها ويلتجئون إلى من فيها من المقبورين طالبين المدد أو العون أو الرزق أو نحو ذلك ، ويقولون هم أحياء في قبورهم ويسمعون دعائنا ويقرأون قول الله تعالى ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ؛ ولهذا أحد العوام الصالحين من أهل التوحيد قال له أحد هؤلاء الجهال : نحن ندعوا الأولياء لأنهم أحياء في قبورهم وقرأ الآية السابقة ؛

فقال هذا العامي الصالح الموحد : الله جل وعلا يقول ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ؛ ولم يقل يرزقون . أي يرزقهم الله . ، فنحن لا ندعوهم ، نحن ندعوا الله الذي يرزقهم أما الذي يرزق فقير لمن يرزقه ، والفقير لا يدعى ، يقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ فالذي يدعى هو الغني الحميد ؛ فالأنبياء والأولياء والصالحين كلهم فقراء إلى الله سبحانه وتعالى لا يدعون ، والذي يدعى هو الله الغني سبحانه وتعالى .

والحياة الأخرى هي الحياة الآخرة ، حياة يوم القيامة ، وهي حياة أبدية إما في نعيم مقيم أو عذاب مقيم ، والدار الآخرة هي الحيوان ؛ ولهذا يوم القيامة إذا دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة ، ولم يبق في النار إلا أهلها ؛ يؤتى بكبش ويُجعل بين الجنة والنار، ويُنادى أهل الجنة فيستبشرون ، وينادى أهل النار فيستبشرون ، فيقال هل تعرفون هذا ؟ فيعرفونه ؛ هذا

الموت ؛ لأنهم ذاقوه وعرفوا ؛ فيُذبح بين الجنة والنار ؛ ويقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، و يا أهل النار خلود فلا موت ، وتكون هذه النهاية ؛ قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ۝ ﴾ .

قال : [ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالبعث والحشر و الشفاعة والحوض والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وغير ذلك مما جاء في الكتاب والسنة] الشرح ..

هذا كله داخل في الإيمان بالله واليوم الآخر ، وعرفنا أن ضابط الإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مما أخبرت به رسل الله ؛ فيكون الإيمان بالبعث ، بعث الناس من قبورهم يوم يقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غُرلاً بُهْمًا وحشرهم إلى الله عز وجل أجمعين على صعيد واحدة وأرض واحدة يُحشر عليها الأولون والآخرون ، يُجمع فيها الأولون والآخرون ، والشفاعة سواء العظمى وهي خاصة بنبينا عليه الصلاة والسلام ، أو الشفاعات الأخرى لعصاة الموحدين ، وهي له ولغيره من الأنبياء والملائكة والصالحين ، وكذلك الحوض المورد وقد وصفه النبي عليه الصلاة والسلام بأن طوله شهر وعرضه شهر ، وأن كيزانه عدد نجوم السماء ، وأن من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، فالإيمان بالحوض هذا من الإيمان باليوم الآخر ، وكذلك الإيمان بالحساب والميزان؛ أن الناس يحاسبون يوم القيامة وأن أعمالهم توزن وأن الموازين تنصب يوم القيامة موازين حقيقية ، والميزان له كفتان ؛ كفة توضع فيها الحسنات وكفة توضع فيها السيئات ، والوزن يوم القيامة بمثاقيل الذرّ ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ ﴾ ؛ ولهذا لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ربما معروف قليل يثقل به ميزانك يوم القيامة ، وكما جاء في صحيح مسلم:

"رجل مر بغصن شجرة فيه شوك في طريق المسلمين وقال والله لا أدع هذا في طريق المسلمين فيؤذيهم فنحاه ، فشكر الله عمله فأدخله الجنة " ، وقال عليه الصلاة والسلام « إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً » ، قال « وإذا تصدق أحدكم بعدل ثمرة من كسب طيب أخذها الله بيمينه ورباها له كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون يوم القيامة مثل الجبل » ؛ فلا يحقرن العبد من المعروف شيئاً.

وكذلك الإيمان بالصراط الذي ينصب على متن جهنم ، أحد من السيف وأدق من الشعرة ، ويطلب من الخلائق أن يمشوا فوقه ، ولا طريق إلى الجنة إلا بالعبور عليه ؛ قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۖ ﴾ ،

ويمر الناس على الصراط على قدر أعمالهم في الحياة الدنيا ، فمنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل وركاب الإبل ، ومنهم من يمر جرياً ، ومنهم من يمر مشياً ، ومنهم من يمر زحفاً ، ومنهم من يُكردس ويسقط في نار جهنم .

قال الجنة والنار : أي الإيمان بالجنة والنار وأنها مخلوقتان وموجودتان ، والجنة أُعدت للمتقين والنار أُعدت للكافرين . والإيمان بكل النعيم الذي ذكر مفصلاً في القرآن والسنة مما يتعلق بالجنة ، وأيضاً العقاب والعذاب مما ذكر مفصلاً فيما يتعلق بالنار؛ نؤمن بذلك ؛ فالإيمان بذلك من الإيمان باليوم الآخر .

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

..*